2005 04 13 - 0006a - 8

1011
أربعة أرقام فقط
للإتصال بـ النهار
النهار
ما عدا الهاتف الخليوي

النهار
استطلاع هذا النهار
هل سوريا وراء مناورة كرامي
نعم أم لا؟
هذا الاستطلاع تقوم به "النهار" لمدة اسبوع ينتهي يوم الثلثاء 19 نيسان 2005
للاشتراك ومعرفة النتائج اتصل بالرقم
1 4 3 3

13 نيسان 1975
13 نيسان 2005

بعدما تمّ تعطيلها بقرار رسمي منذ العام 1990 الى اليوم

المطالبة بالحقيقة في اغتيال الرئيس الحريري هل تسمح بإجراء مراجعة حقيقية لذاكرة الحرب؟

تعود ذكرى الحرب هذه المرة مختلفة. فبعدما تم تعطيل "ذاكرة الحرب" بقرار رسمي في اعوام ما بعد الحرب، أحدث اغتيال الرئيس رفيق الحريري صدمة كبيرة اعادت الى التداول مفاهيم "المسؤولية"، "الحقيقة" و"الجريمة والعقاب". وهكذا تحول الشعار الذي رفعه ذوو المفقودين طوال عقود "من حقنا ان نعرف" من شعار محصور في دوائر ضيقة الى شعار يتردد عاليا على مساحة الوطن: "نريد معرفة الحقيقة". فهل يبدأ مشروع احياء الحق في الذاكرة؟

تحقيق رلى مخايل

"لنطو صفحة الحرب" شكّل شعار اعوام ما بعد الحرب. ففي لبنان اقفلت المناقشة حول جرائم الحرب منذ 15 عاما عبر صدور قانون العفو العام الذي حاول ان يمحو العدل لا ان يقيمه، وأن يطوي صفحة الحرب اللبنانية كأن شيئا لم يكن! فهل كان منطقيا تجاهل حرب دامت 15 سنة واوقعت بين عامي 1975 و1991 ما لا يقل عن 144240 قتيلا و184051 جريحا بحسب مصادر قوى الامن الداخلي؟ وقد شهدت الحرب بحسب المصادر عينها 12969 مخطوفا و17415 مفقودا و13455 معوقا جسديا و 2641 سيارة مفخخة اوقعت 4286 قتيلا و6784 جريحا. دون ان ننسى اعداد المهجرين العائلة والوقائع المؤلمة لـ 2000 امرأة، مصرّح عنهن رسميا، قتلن بعد ان تم اغتصابهن؟!

هكذا بقيت ذاكرة الحرب الجماعية لدى اللبنانيين من المحرمات التي لا يريد احد التحدث عنها. من هم الضحايا؟ ومن هم المرتكبون؟ كيف يمكن ان نصل الى التسامح والعفو وبعدهما النسيان من دون المرور بمرحلة الاعتراف بالجرائم، اي الاعتراف بالمسؤولية عنها؟ وظل السؤال: هل تجاوزنا مرحلة المحاكمة عن افعال الحرب لنصل الى النسيان. ولكن كيف يمكن ان نصل الى التسامح والعفو وننتقل الى النسيان من دون المرور بمرحلة الاعتراف بالجرائم؟ لماذا لم يعتذر المحاربون القدامى والحاليون عن الحرب التي شهدت جرائم فظيعة كانت ترتكب ببرودة اعصاب: مجازر، تهجير، خطف، تصفيات تحت الجسور، اغتصابات، اقتلاع الآخر كي لا تبقى له صلة مع الارض. و لماذا لم يتحمل احد مسؤولية هذه الحرب. واذا كانت الجريمة، ولاسيما الجريمة ضد الانسانية، تعني زوال الرابط الانساني الاساسي فان هذ الرابط يعاد بناؤه بواسطة الذاكرة المحررة. وعندما انتقل اللبنانيون من مرحلة الحرب الى مرحلة النسيان تم تعطيل ذاكرتهم.

"كل منا في لحظة او اخرى يداعبه الحلم المستحيل بأن يستيقظ من دون ذاكرة" تقول المحللة النفسية الفرنسية ميشلين انريكيز. لكن أمرا ما في داخلنا يخون دائما عملية الالغاء. فما يرفض الوعي ان يفكر فيه، يستمر في الوجود بقوة فعل طاغ على حياتنا وقدرة مخيفة على التوالد. ويقول المحلل النفسي فرنسوا فيّللا "ان التذكّر هي الطريق كي لا نصبح قتلة". هكذا نتذكر املاً في تفادي العودة فالذكريات تعود دائما بطريقة او أخرى.

وتصبح عملية التذكر ضرورية بالنسبة الى الجيل الجديد حتى لا يقع ضحية الانقطاع التاريخي، وضرورية من اجل تثبيت دعائم المجتمع بعد استخلاص دروس الحرب. وموضوع ذاكرة الحرب وتحمّل مسؤوليتها لم يطرح من باب محاكمة الاحياء انما من باب الاعتراف العام بالخطأ وهو عمل سياسي يتجاوز الصراعات السياسية العادية والتزام بأن الجرائم لن تتكرر بتاتا. فالاعتراف العام هو عكس الاتهام، يرمي الى ارساء العدالة وعملية التذكر بغية تحرير الماضي من عبئه المهدد وتهدئته.

الحقيقة طريق الى المصالحة

ماذا يحصل عندما نفسل ايدينا من حروبنا، ونرفض تحمل المسؤولية عنها، وننسبها الى الآخرين؟ هذا قد يؤسس لحروب جديدة مقبلة. اذا كان اللبنانيون مسؤولين عن هذه الحرب، فلماذا نرفض الاعتذار عنها؟ الا اذا كان اللبنانيون بخلاف شعوب العالم يعتبرون ان الحرب وجرائمها من الاعمال العبقرية التي لا تتطلب الاعتراف والاعتذار بل الافتخار والتباهي.

" لا اريد الانتقام أو الثأر، كل ما اريده هو ان يعترفوا بجريمتهم؟ شهادة زوجة خطف زوجها اثناء الحرب، فالذاكرة تبحث دائما عن العدالة وهذا ما فعلته الشعوب التي ارادت تخطي مآسي تاريخها... من جنوب افريقيا الى غيرها من التجارب الاخرى. ففي جنوب أفريقيا، وفي مواجهة خيار محاكمة مرتكبي الفظائع امام محكمة من نوع "نورمبورغ" او اللجوء الى عفو عام، اختارت حكومة لوكليرك حلا وسطا عبر "انشاء هيئة الحقيقة والمصالحة". اعتبرت هذه الهيئة اطارا لعملية المصالحة بين القامعين والمقموعين. كان هدفها تثبيت الحقيقة حول الفظائع المرتكبة واعادة بناء الذاكرة المجزأة لافساح المجال امام مصالحة المقموعين والقامعين مع الماضي، واعادة الوحدة الى الامة. وكان على الهيئة لبلوغ هذا الهدف:

- اعداد لائحة بانتهاكات حقوق الانسان التي جرت بين عامي 1960 و1994.
- اعادة الكرامة المدنية والانسانية الى الضحايا عبر منحهم الوسائل لرواية عذاباتهم والمساعدة الكفيلة بتمكينهم من تخطي تجاربهم.

فجوة الحرب والذاكرة!

- مراجعة طلبات العفو التي تقدم بها المجرمون، ومنح هذا العفو للذين عبّروا عن ندم جدي يسمح بالاعتقاد بانهم لن يكرروا ما سبق ان قاموا به. كان هدف الهيئة تظهير الحقيقة حول الاعمال المرتكبة من دون اغفال ذاكرة القامعين، وهذا امر ضروري لاعادة بناء الذاكرة الجماعية والسماح بخرق الصمت وهو خرق ملازم لشفاء المجتمع.

"من حقنا ان نعرف"

اما ماذا حصل في لبنان؟ قد يتفق الجميع على ان الحرب بدأت عام 1975 بحسب المحامي زياد بارود، "لكن من الواضح لم يكن هناك اجماع على انتهاء الحرب عام 1990، فمنهم من يعتبرها تاريخ توقف الاقتتال ليس اكثر. والى اليوم لا تزال آثار هذه الحرب مستمرة. اذ ان ملفات موجعة كثيرة لم تعالج مثل ملف المخطوفين والمفقودين والمعتقلين والمهجرين والمعاقين... اضافة الى ان اصدار قانون العفو احدث مشكلة بدل ان يحلها، اذ ميّز بين "مواطن عادي" و"مواطن اكسترا" عبر عدم شموله الجرائم السياسية". بذلك لم تتصد الطبقة السياسية في مختلف اطيافها ومواقعها لأي مراجعة للذات، فتنكر قانون العفو للضحايا فاتحا الباب امام ملاحقات انتقائية. وبقي مطلب الطبقة السياسية لمرحلة ما بعد الحرب ان تبقى الضحية خفية وأن يبقى الوجع فرديا منعزلا لئلا يؤدي اظهاره الى نكء الجروح وتهديد السلم الاهلي، على حد تعبير نزار صاغيه وهو محام وعضو هيئة تنسيقية في "حملة ذاكرة الحرب وانصاف الضحايا المستمرة معاناتهم".

وامام التواطؤ الرسمي لخنق ذاكرة الحرب، تحرك المجتمع المدني فأطلق حملات وورش عمل ودراسات في سبيل الخروج من ذاكرة الحرب عبر اعلاء الحقيقة وانصاف ضحايا الحرب تمهيدا للمصالحة. من ابرز التحركات ما بعد الحرب ما كانت تقوم به "لجنة اهالي المخطوفين والمفقودين في لبنان". رئيسة هذه اللجنة وداد حلواني، التي اختطف زوجها عام 1982 وهي من حينها في حركة لا تهدأ. بدأ تحركها بأعلان اذاعته على الراديو دعت فيه اهالي المخطوفين الى لقاء تعارف، و"حتى نتعرف الى بعضنا نذهب سويا للمطالبة، فوجئت بمئات النساء والاولاد هيدي عم تحكي قصتها، هيدي عم تبكي... وشعرت الى اي درجة لا احد يشعر بهم ولا حتى نحن كنا شاعرين ببعضنا، ووجدت نفسي اصرخ بملء صوتي، يللا نروح سوا على الصنايع نشوف رئيس الوزرا. وكنا حينها على كورنيش المزرعة وبشكل عفوي، وعلى رغم حالة الطوارئ المعلنة في البلد، قمنا بتحركنا. ومن حينها شكلنا عفويا "لجنة اهالي المخطوفين والمفقودين في لبنان" وخصوصا ان منهم من عرفت ظروف خطفه ومنهم من خرج ولم يعد. هكذا نظمنا تحركات كثيرة اثناء الحرب وبعدها". لكن حكاية الانتظار تطول. "كنا في حالة انتظار. اعتقدنا ان الحرب خطفت احباءنا والسلم يعيدهم. غير ان السلم اتى بقانون عفو لا "يلتكش بالضحايا".

منذ اختفاء أحبّاء لهم في الحرب، أخذ اهالي المخطوفين والمفقودين يتظاهرون، يقطعون المعابر، يقابلون المسؤولين... ارشيف الحرب مليء بقصص ناس مسالمين منهم من خرج ليجلب ربطة خبز لعائلته ولم يعد... وشهادات لأمهات ما زلن في الانتظار حتى "تفسل وتكوي وتطبخ وتعمل لابنها الاكلة اللي بيحبها"، واولاد في انتظار والد لم يعرفوه يوما او ما زالوا يتذكرون بعضا من ملامحه وهم يحاولون ان يتعرفوا اليه عبر خبريات الاقارب

من يتذكر؟

والجيران. بين قصاصات الورق في الارشيف قصص لا تنتهي عن التفتيش والانتظار والحزن حتى الانتحار. وفي الارشيف ايضا صور زعماء الميليشيات والمسؤولين عن الحرب الذين اصبحوا في ما بعد مسؤولين في دولة ما بعد الحرب. وتضيف حلواني: "ما دمنا لم نلمس شيئا نبقى في حالة انتظار. لذا من الضروري حسم الحقيقة كي نساعد الناس على الخروج من حالة الانتظار التي يعيشونها".

لإنصاف الضحايا المستمرة معاناتهم

تحركات عدة نظمتها اللجنة ما بعد الحرب واطلقت حملات بالتعاون مع قوى مختلفة من المجتمع المدني. فبعد "من حقنا ان نعرف" و"تذكر ما تنعاد"... تم اطلاق "حملة ذاكرة الحرب وانصاف الضحايا المستمرة معاناتهم"، التي اعتبرت ان "بعض الجروح لا يزال ينزف". فازاء مطالبة ذوي المخطوفين بالكشف عن مصائر ابنائهم كان الجواب دوما "ماتوا، قتلوا، ماتوا" والكلمة قيلت في سياق احاديث عامة خلت من اي اسف أو اعتذار. فاذا طالب الاهالي بحق المعرفة والحصول على دليل للوفاة اتّهموا بنكء جروح الحرب و"كل ذلك من اجل جثث"، ولاسيما ان انشاء اللجان الرسمية للتحقيق بالموضوع لم يؤد الى نتيجة. فاللجنة الاولى - ومي امنية - شكّلت عام 2000 خلصت في تقريرها الى ان ثمة مقابر جماعية كثيرة في لبنان مما يشكل دليلا قاطعا على تصفية مفقودي الحرب وقد انتهت اللجنة الى توصية باعلان وفاة من مضى على تغييبه القسري 4 سنوات وما فوق. لكن تبين لاحقا ان مخطوفا اوصت اللجنة المذكورة باعلان وفاته افرج عنه لاحقا من السجون السورية. وتحت ضغط الاهالي، تشكلت لجنة ثانية رسمية عام 2001 انحصرت مهمتها بتلقي شكاوى من يقدمون ادلة على بقاء ذويهم على قيد الحياة وكأنها تقول "ان لن تصدقوا فهاتوا دليلا". تعاون الاهل متجاوزين الصعاب، لكن اللجنة وبعد اربع سنوات لم تقدّم تقريرها. وتشير منطلقات الحملة، الى اوضاع المعوقين والمهجرين "فقد استغلت انظمة ما بعد الحرب حاجاتهم المادية واوجاعهم فحل "تقريش" الحاجة محل الالم والوجع وما يعكسان من ابعاد انسانية كذلك تم اقرار المساعدات وتوزيعها على نحو يضمن اخضاع متلقيها للمحسوبية والزبائنية وتاليا تغليب هوية "التابع" على هوية "الانسان".

"يبقى الصمت الحلقة المفقودة..."

ازاء التنصل من المسؤوليات، وعندما بادرت امل مكارم الى تنسيق عمل حول "ذاكرة الحرب" لمناقشة سبل تنقيتها، كانت غايتها ان تلفت الى موضوع الصمت الموجود بين اللبنانيين حول مسؤولياتهم في الحرب، اذ انه لا يمكن مع طمس مفهوم "المسؤولية" ان نؤسس لديموقراطية. "فمن دون الاعتراف ينتفي مفهوم المسؤولية. ويبقى ان "الصمت" و"عدم الاعتراف" هما الحلقتان المفقودتان في الخطاب السياسي اللبناني". وتعتبر مكارم ان اليوم ليس وقت محاسبة الطبقة السياسية "ونحن نعيش في رمال متحركة. انا حذرة في التعاطي مع هذا الموضوع. كل مواجس الحرب عادت لتطفو بعد 14 شباط 2005، والذي استنتجه من هذه المرحلة انه بعد 15 عاما من السلام لم نحقق شيئاً لبناء البلد وتكريس الوحدة الوطنية. لا احد يحمل مشروعا وفاقيا في البلد. هذا هو الاستنتاج الكبير بعد استشهاد الرئيس الحريري. ان عمل الذاكرة هو عمل للتهدئة والحوار، والمهم ان لا تتكرر

- التتمة في الصفحة 24 -

STAR ACADEMY 2
هشام
السعودية
أماني
تونس
من سيكون الأفضل ؟
Star Academy الأكاديمية
للمشاركة اتصلوا على الرقم 1085 من أي هاتف خلوي
أو أرسلوا كلمة "ستاراك" أو "STARAC" عبر الـ SMS على الرقم 1075.
ويمكنكم أيضاً التصويت عبر الإنترنت على www.lbcgroup.tv/staracademy
وحده الأفضل يبقى...
الحفلة الأخيرة
الجمعة مباشرةً 9:30p.m.
www.lbcgroup.tv/staracademy
SPONSORED BY PEPSI
LBC INTERNATIONAL

Au nom de tous les événements que j'ai vécus depuis 30 ans, la guerre, les armes, les massacres, les frustrations, les réalisations heureuses, bref au nom des 150 000 morts, des 30 000 disparus et de tous les handicapés, déplacés, prisonniers, je demande des comptes.
Kinda ELIAS
LA GUERRE AU LIBAN, J'AVAIS 11 ANS
A l'occasion du 30 ème anniversaire
du début de la guerre du Liban
librairie el bourj
La Librairie EL Bourj
a le plaisir de vous inviter à la signature de
"La Guerre au Liban, j'avais 11 ans"
de
Kinda ELIAS
(Paru 13 avril 2005 aux Editions Odin)
le jeudi 14 avril 2005 à partir de 17h
Place des Martyrs, Imm. AN NAHAR - Tél : 01-97 37 97

قواعد العربية في متناول الجميع
تغيير طريقة التعليم دون تغيير القواعد
الجملة الفعلية جملة مكوّنة حول فعل
تعلّم قواعد الجملة العربية في 12 ساعة
إعداد الدكتور رولان سيف
12
سلسلة من 50 حلقة
كل يوم أحد
في
النهار
25 حلقة للشروح + 25 حلقة للتمارين
الحلقة 39
ما هو دور الكلمة المشار إليها في بيت الشعر؟
أسئلة مع أجوبة مقترحة
الأحد 17 نيسان 2005

20050413-00066_1

النهار
77 سنة
الأربعاء 13 نيسان 2005

بعدما تمّ تعطيلها بقرار رسمي

تتمة المنشور في الصفحة – 13 –

الحرب وان نبحث عن وسائل تمنع تكرارها". في رأيها ان ذاكرة الحرب طواها صمت طويل تعاظم بثقله علينا. "فاللبنانيون الذين انهكتهم 15 عاما من العنف الذي اصابهم في الصميم وكان لمعظمهم مسؤولية عنه، وإن بدرجة متفاوتة، ارتأوا طي صفحة الماضي على اثر تصالح الزعماء السياسيين في ما بينهم. وقد ادى انتقال اللبنانيين من مرحلة الحرب الى مرحلة النسيان، الى تعطيل ذاكرتهم. وهكذا لم نرتقِ في لبنان الى النسيان السليم الذي يتم تحقيقه بتفعيل الذاكرة من اجلَ هضم آلام الماضي وتجاوزه، بل بالعكس غرقنا في النسيان الخبيث الذي ينتج من كبت تلك الآلام. فعندما قررنا التزام الصمت حول مسؤولياتنا في هذه الحرب سجنا انفسنا في الصمت وبالتالي قي قبضة الماضي ف "نسي اللبنانيون دون ان ينسوا" ". ويبقى السؤال الاساسي كيف يمكن ان نطمح الى بناء بلد ديموقراطي من دون الاعتراف بالمسؤوليات؟ وكيف يمكننا التصدي للحالة التي تحول جرائم الحرب اعمالاً عادية؟

صدمة استشهاد الرئيس الحريري

لكن اليوم، احدث اغتيال الرئيس رفيق الحريري اضطرابا ضميريا هائلا اعاد الى الاذهان مفاهيم " المسؤولية"، " الحقيقة"، و"الجريمة والعقاب". وهكذا تحول الشعار الذي رفعه ذوو المفقودين طوال عقود "من حقنا ان نعرف" من شعار محصور في دوائر ضيقة في دوائر التهميش الى شعار يتردد عالياً على مستوى الوطن: العدالة اولا، والحقيقة اولا بعيداً من اي مجاملة او تخاذل. ويعتبر صاغيه، "أن استشهاد الرئيس رفيق الحريري قلب الامور رأساً على عقب وتحولنا فجأة من الحديث عن "العفو" وتهميش مفهوم المسؤولية الى صخب اقوى هو مفهوم "الحقيقة"، و"المساءلة" و"الجريمة والعقاب". "ففالبا ما كان يتردد على مسامعنا "بدننا نطوي صفحة الماضي" وكأنه يقال اننا نتهرب من تحمل مسؤولية الماضي. ونتناسى ان هناك ضحايا معاناتهم مستمرة ولديهم اسبابهم المشروعة التي تذكّرهم كل يوم بالحرب. فثمة فئات لا تزال تحمل الى اليوم آثار جروح الحرب: المعوقون، اهالي المخطوفين الذين يريدون معرفة الحقيقة، المهجرون الذين لم يعودوا بعد الى بيوتهم، والمعتقلون تعسفاً الذين لا يزال الاعتداء على حريتهم مستمرا... فكيف يمكن ان نطوي صفحة الماضي والوجع لا يزال مستمرا؟" لكن المثير ان 14 شباط الماضي قلب الخطاب العام. وبدأ الكلام على المسؤولية والجريمة والعقاب.

ويعتبر صاغيه: "أهم نقطة ما ورد في كلام السيدة بهية الحريري التي دعت، في خطابها في ساحة الشهداء، الى مسيرة الآلام في ذكرى الحرب. وهي بذلك ربطت بين مقتل الحريري وضحايا الحرب كلهم. لقد شعرت بذلك الرابط القوي بين استشهاد اخيها والحرب، وبدت انها تيقنت بأن تغييب المسؤولية الى هذه الدرجة، طوال نظام ما بعد الحرب، مسؤول الى حد كبير عمّا حصل للحريري، وقد يؤدي الى جرائم كبيرة. وكذلك التظاهرات الكبيرة التي شهدتها الساحة، سواء كانت من الموالاة او من المعارضة، رفعت شعار "بدنا نعرف الحقيقة" ونادت بتشكيل لجنة تحقيق دولية.

وبغض النظر عن المعنى السياسي لهذه التحركات الا انها اعادت المسؤولية الى الخطاب العام بعدما طغت لأعوام مسألة العفو. وهذا التطور يبنى عليه في المستقبل فالمناخ العام تغير. حتى المواطن العادي اخذ يطالب بمعرفة الحقيقة. صرنا امام تعاطف اكبر مع الضحية".

هكذا يبدو بوضوح ان ادخال عنصر "المسؤولية" الى الخطاب العام قد يسمح باجراء مراجعة للحرب تحتل فيها العدالة ومفاهيمها مكانة اعلى من العصبية، وشعلة الانطلاق تعود الى الصدمة التي أحدثتها جريمة اغتيال الرئيس الحريري.